

البعد السوسيولوجي للموروث الثقافي في عين الملح (1957-1999): التاريخ والثقافة

The sociological dimension of the cultural heritage in Ain El Melh
(1957-1999): history and culture

د. نورالدين خزار *

جامعة جيلالي ليايس . سيدي بلعباس / الجزائر.

khazzar.nrd@gmail.com

تاريخ القبول: 2024/04/15

تاريخ المراجعة: 2024/02/05

تاريخ الإرسال: 2024/01/20

الملخص:

إن فكرة انتقال شيء ما عبر الزمن هو المعنى الأصلي لمصطلح التراث، فهو يشكل جزءاً أساسياً من مكونات الشخصية، باعتباره مخزوناً ثقافياً يتم توارثه من جيل لآخر عن طريق التنشئة الاجتماعية، لذا فهو يكتسب صفة التقليدية لكونه يضم عادات وتقاليد وثقافة المجتمع بكل عناصره المادية واللامادية، حيث أنها تتغير وتتطور إما في اتجاه الانكماش، أو في اتجاه الانتشار، ويتم إثراءها بتجارب وخبرات أهلها في كل المجالات، وكذلك باحتكاكها سلباً أو إيجاباً مع الهويات الثقافية الأخرى، التي تستمد جوهرها من أصول مشتركة في الجغرافيا والتاريخ واللغة والسّجايا والواقع المعيش، كمحصلة تنمّي إليها شتى فروع الثقافة، من هنا ارتأينا أن يتناول موضوع بحثنا عن تراث منطقة عين الملح لما له من أهمية إنسانية والاجتماعية في الحفاظ على الهوية وإبراز صورة المدينة ثقافياً وسياحياً، وإطلاع الأفراد لاسيما الجيل الجديد على موروث مدينتهم في ظل التغيرات الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: عين الملح؛ التاريخ؛ الموروث الثقافي؛ سوسيولوجيا؛ الهوية الثقافية؛ الإمكانات؛ الإستراتيجية؛ التغير الاجتماعي.

* د. نورالدين خزار، جامعة سيدي بلعباس.

**Abstract:**

The idea of transmitting something over time is the original meaning of the term heritage. It constitutes an essential part of the personality components, as it is a cultural stock that is passed down from one generation to another through socialization. Therefore, it acquires a traditional character because it includes the customs, traditions, and culture of society with all its material and intangible elements. As it becomes and develops either in the direction of contraction, or in the direction of expansion, and it is enriched by the experiences and expertise of its people in all fields, as well as by its interaction, negatively or positively, with other cultural identities, which derive their essence from common origins in geography, history, language, characteristics, and living reality, as an outcome to which it develops. Various branches of culture. Hence, we decided that the topic of our research should address the heritage of the Ain El Melh region because of its humanitarian and social importance in preserving identity, highlighting the image of the city culturally and touristically, and informing individuals, especially the new generation, about the heritage of their city in light of social changes.

Keywords: salt spring; the date; cultural heritage; Sociology; cultural identity; Possibilities; The strategy; Social change.

- مقدمة:

بات الموروث الثقافي يشكل رمزا للهوية وعنصرا أساسيا لذاكرتنا، حيث يحمل مبادئ وقيم أسلافنا وينقلها إلى الأجيال القادمة، لذلك فإن مسألة الاجتهاد للحفاظ عليه ظلت مطروحة عند مختلف الدول الحريضة على فرض وجودها، وتثبيت كيائها، لكن في خضم الأوضاع السائدة في العصر الحديث من تطور تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وكذا التوسع العمراني، باتت تطرح مسألة مصير الموروث الثقافي بإلحاح شديد في سبيل ترميم الموروث الثقافي من خلال الاستثمار فيه لخدمة المجتمع والأجيال

القادمة، الشيء الذي جعل السلطات الجزائرية تسعى إلى الاهتمام به واستثماره، من خلال جهود وزارة الثقافة والفنون.

ولهذا سنحاول في الورقة البحثية مقارنة الموروث الثقافي والكشف عما يمثله من تنوع تمت وراثته من الأب الماضي - السلف في الابن الحاضر - الخلف في منطقة عين الملح، التي تعد أحد أهم الدوائر في ولاية المسيلة، ومن أغنى المدن بالموروث الثقافي بكل تنوعاته الثقافية، الأدبية، والمعمارية، وإطلاع الأفراد لاسيما الجيل الجديد على موروثات منطقتهم، وتعزيز روحهم الإنسانية والوطنية وتحفيز قدراتهم الإبداعية من خلال معرفة ما خلفه أجدادهم، والاهتمام ما خلفه أسلافنا لتعزيز الروابط الإنسانية والوطنية مع تفعيل الحوار المتبادل ضمن الهوية الإنسانية والثقافية للمجتمع.

فيما تتجلى معالم إشكالية هذه الورقة البحثية حول كيفية حماية الموروث الثقافي لمنطقة عين الملح من التغيرات الاجتماعية ومساهمتها في الحفاظ لهويتنا الثقافية الجزائرية.

وللإجابة على هذه الإشكالية تم طرح التساؤلات التالية:

- ما طبيعة منطقة عين الملح تاريخيا وجغرافيا؟ ما سبب تسمية المنطقة بهذا الاسم؟
 - فيما يمثّل الموروث الثقافي بها وعلى أي أساس؟ ما هو دور بيئة المنطقة وتفاعلها اجتماعيا وثقافيا مع محيطها الطبيعي والبشري في الحفاظ على الهوية الثقافية؟
- وفق هذا الطرح تبرز أهمية الدراسة الحالية من أهمية الموضوع الذي تعالجه، لأن موضوع الموروث الثقافي يعتبر في غاية أهمية بالنسبة لكل مجتمع، وهذا ما تطمح إليه المنطقة التي تعتمد بالدرجة الأولى على كل ميكانيزمات الحفاظ على هويتها الثقافية في التحقيق الرقي الحضاري وتماسك النسيج الاجتماعي.

1- البيئة الطبيعية لعين الملح من منظور السوسيو.تاريخي:

1-1- أهمية المدينة وتاريخها:

إن مدينة عين الملح أو مدينة العقيدين كما يسميها البعض، هي مهد تنشئة وتعليم شيخ المجاهدين عاشور زيان، حصل لها شرف استشهاد البطالين العقيدين سي الحواس وعميروش أيت حمودة، وهي من أقدم دوائر وعاصمة الجنوب اختارها

الاستعمار لتكون إقليما عسكريا، لأهميتها الاستراتيجية خاصة لأجل التوغل نحو الجنوب والتحكم في الأطلس الصحراوي الشاسع، فأصدرت السلطات الاستعمارية قانونا عام 1845 م لإلحاق الجزائر بفرنسا وتقسيمها إلى ثلاث مناطق: (عميراوي، 2004، صفحة 42).

- منطقة مدنية (لوجود العنصر الأوربي) تخضع لإدارة مركزية مثل القرى والمدن الساحلية.
 - منطقة مزدوجة (يقل فيها العنصر الأوربي) بحيث يخضع الاوربيون للحكم المدني والأهالي للحكم العسكري.
 - منطقة عسكرية (ينعدم فيها العنصر الأوربي) تخضع لنظام عسكري مثل الهضاب العليا والصحراء والأوراس.
- وبحكم وجود منطقة عين الملح في منطقة الثانية خضعت لنظام العسكري بموجب المرسوم المؤرخ في 1850/12/14 م، تحت قيادة نقيب "بان" بوسعادة والتي بدورها قسمت إلى ثلاث قيادات:
- قيادة الحضنة (مسيلة وما جاورها).i.
 - قيادة أولاد الدراج (شرق مسيلة وما جاورها).
 - قيادة أولاد نائل (بوسعادة وما جاورها)، منها قسمت إلى أربعة قيادات بموجب المرسوم المؤرخ في 1875/04/02 م، تحت قيادة وادي شعير منها أولاد أحمد (عين الملح) بقيادة بومدوحة أحمد.

فعين الملح تبعد عن ولاية المسيلة 120 كلم وعن العاصمة حوالي 340 كلم، لها حدود مشتركة مع ولايتي بسكرة والجلفة من الناحية الغربية والجنوبية، ومع دائرتي بن سرور وجبل امساعد من الناحية الشرقية والشمالية، وهي بوابة جبال أولاد نائل أقدم جبال الأطلس الصحراوي، التي يرتسم على جبينها تاريخ حافل بالأمجاد والبطولات كجبل بوكحيل الذي خضت فيه عدة معارك، وجبل ثامر الذي استشهد فيه العقيدان 1959/03/28 م.

1-2- المنبع المائي كالموروث الثقافي وتسمية المنطقة:



عندما نتحدث عن التراث وكأنه مجموعة من أفكار وخصائص التي تتواصل باستمرار، نفترض أن توريثها حاصل بالضرورة، وأن الزمن كفيل بفرز غثها من سميناها، وأن نزعة الأصيل فيها غالبية، (التواصل في توريث التراث، على تلاقٍ في الإبداع واستمرار في الحفاظ والإحياء)، ويحلون لنا عادة أن نتمثل ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزُّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ (سورة الرعد، الآية 13).

وهذا صحيح، ولكن ينبغي أن نحسن إدراك العبرة من القول الإلهي، فماء السيل نفسه قد يغور في أعماق الأرض قبل أن يستفاد منه في ري الحقول، وقد يتشتت ماؤه فيذهب ماؤه غوراً، كما ذهب زبده دون أن يصل إلى الحقول وينتفع به الناس، فكثيراً ما نسمع ونقرأ أن أمة بلا تراث، أمة بلا جذور بل هي أمة بلا مستقبل، لأن الجذور هي التي تغذي شجرة الحياة، لتعطي ثمارها وتشتع بنورها على الإنسانية.

وعليه؛ فمنطقة عين الملح والتي ينحدر سكانها من قبيلة أولاد نايل الأدارسة الأشراف، مالكية المذهب، رحمانية الطريقة، ولقبت بـ "حمدي" نسبة للعرش، فهي تقع في ضفة وادي عين الملح يقسم منطقة إلى قسمين شمالاً وجنوباً، تتوسد على جبل يسمى جبل لجدار والذي هو وكر عرش أولاد أحمد، تتوسط بين سلسلتين جبليتين: شرقاً جبل لجدار وغرباً جبل حرازة، يتوسطها جبالان صغييران الأيمن يسمى دير الحمام، والأيسر يسمى مرتفع للمومة نسبة للعائلة العريقة القاطنة فوقه، وبينهما فج ضيق يسمى المقسم، أما تسمية عين الملح بهذا اسم نسبة إلى الملح الموجود بـ "الماجن" (ينظر التعليق رقم 01)، إضافة إلى منبعان متجاوران: الأول ماؤه عذب والثاني ماؤه مالح، والذي كان مصدر الرزق الأهالي من خلال مقايضة مادة الملح التي ينتجها ببقية المواد الغذائية، التي يجلبها سكان من المناطق المجاورة، فكان مصطلح الملح في عرف المنطقة يسمى "الريح" منه اختار أبناؤها التسمية على المالح فسميت عين الملح، بحيث يقول الشاعر (ينظر التعليق رقم 02):

عيون الملح إليك مني تحية	معاني الحب هذه تشدو برفقتي
فلولا مليح أرضك طعم ولذة	لما كان من عيش وزخرف ولذتي
ولكن الله قد رآها محبة	فقال عين الملح كوني محبتي



فلولاها والروض مسكن لما كان من حب ولا كان مهنتي
 فيا من يلمني على البعد والمدى أقول عين الملح نفسي وملئ محبتي
 قلت هذه عين الملح هي بدايتها وهل أنا يقظان أصحح قبلي
 وكأن الشاعر يحن إلى تلك البيئة، لأن الاستئناس والتكيف هدفان يسعى إليهما
 الإنسان لتحقيق التوازن بينه وبين غيره، بالنظر إلى طبيعة حياة الإنسان وانسجامة
 وتوافقه مع بقية المكونات الأخرى، لأن الشاعر ابن بيئته يعبر عن كل جديد عن كل راهن
 أتعبه وأثقل كاهله، أصبحت النصوص تدون على غير عاداتها وتوثق بأسماء أصحابها،
 فأصبح الشاعر يبصم قصائده في النهاية باسمه واسم والده وعرشه أو أصله، يقول
 الشاعر بوضياف بن تناح ذاكرة اسمه ولقبه وعرشه (ينظر التعليق رقم 03):
 البشير بوضياف اسم مسطور حرف التاء والنون والحاء عنوانو
 عين الملح الدائرة مركز مشهور المزياني في نسبتوا حاب أوزانو
 في التسعة والعشرين آخر الشهور في يوم المرحوم فارق جيرانو

فالتغيرات لا تقتصر على كتابة التاريخ والاسم والعرش، وإنما تخطته إلى عناصر
 أخرى فشاعر يتنقل باستمرار إلى بيئات أخرى بعيدة جغرافيا وتاريخيا، وهي غير معروفة
 دائما، لينهل منها أو ينحت منها أشكالا ونماذج شخوصه الحاضرة أو التي يأمل في
 مشاهدتها لتغير الواقع، لأنها ماثلة في ذهنه، فالبنيات المؤثرة تبدو بينات متداخلة، وهي
 كذلك بالنظر إلى الانتماء الفكري والحضاري وارتباط المغرب بالمشرق لغويا وروحيا، منذ
 عصور وتشبثه بالعمق السوسيو.تاريخي.

2- البعد السوسيو.اجتماعي للبيئة عين الملح:

لا شك في أن لكل أمة عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها وطقوسها وموروثاتها، والتي
 تمثل عصب تراثها أو ثقافتها الشعبية التي لا يمكن أن تتنصل منها أو تخرج عنها، وهذا ما
 أكده الباحث هورسكوفيتس بأنه: "لا توجد ثقافة حية تظل ثابتة، فلا قلة الأفراد ولا
 عزلة ولا بساطة العتاد التكنولوجي يثير الثبات التام في حياة شعب" (لباشي، د ت،



(صفحة 196)، فثقافة المجتمع عادة ما تعكس حقيقة قدراته مثلما تعكس احتياجاته أيضا، بحيث لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية أنماطه الثقافية وقيمه الخاصة به.

2-1- المقام أولاد أحمد:

والتاريخ الاجتماعي يؤكد أن المنطقة موضوع بحثنا كانت مفتوحة على غيرها، بقيود القبيلة والتي اعتمدت على ما يسمى بـ "المقام" (مقام أولاد أحمد)، حيث ابتكرها شيوخ الزوايا الوسيلة للبدو الرحل، كمناسبة الوحيدة التي يلتقي فيها معظم قبائل أولاد نائل (الجلفة) وأولاد الدراج وأولاد ماضي (المسيلة) وأهل الزاب نسبة للزيان (بسكرة)، تحت وطأة الطريقة الرحمانية، "طريقة دينية نسبة إلى الشيخ محمد بوقبرين بن عبد الرحمن الجرجري من قبيلة آيت إسماعيل" (ينظر التعليق رقم 04)، التي تقيد بها نفسها في مجال التجارة وارتباد أسواق المنطقة والرحلة الموسمية التي تنطلق مع بداية الصيف إلى التل لتعود إلى مضاربها القديمة مع الخريف، وهي عادة لم تتغير في المجتمع الجزائري، أشار إليها عبد الرحمن بن خلدون بعبارة: "...التغلب في الأرض وإيلاف الرحلتين... (ينظر التعليق رقم 05)" (ابن خلدون، 2000، صفحة 03)، وهذه المناسبة سمحت بالتقاء عدد كبير من أهالي وغيرهم في ذلك المكان، فأصبحت نقطة لقاء تحقيقا لبعض المنافع مثلا (طرح مشاكل وحلولها خاصة التي تظهر بين الأعراش والقبائل، إضافة إلى مراجعة شيوخ الأعراف وعلماء الدين ما يحدث من مشاكل، كالنزاع والتعدي والحرمان على الأعراش وغيرها من قضايا)، فكانت هذه المناسبة فرصة للقاء الأفراد والجماعات كفرصة لتنظيم شؤون المنطقة كقوة بشرية.

وابتكار الأهالي من البدو الرحل ما يسمى بـ "الرتبة" (بكسر الراء) (ينظر التعليق رقم 06)، لأن القبائل البدوية أو الشبيهة بها التي كانت تمارس هذا التقليد، وجدت في تلك الهجرة الموسمية ما يحقق كفايتها من الحبوب، ويخفف عنها وطأة الجفاف في مراعي الشمال، فالضرورة المعاشية الاقتصادية كانت الدافع إلى تلك الحركة.

مما دعا تلك القبائل خلال هذه الرحلة تكوين علاقات اجتماعية، والمتمثلة في كل موسم (نهاية فصل الصيف وبداية فصل الخريف)، وهذا لعرض خيرات ما تم إنتاجه، إضافة إلى بيع جميع منتوجات من حبوب وخضر وفواكه وتوابل وأصواف وجلود أنعام



ومشتقات الحليب، وجميع أنواع المواشي وأنواع الأفرشة والملابس والأحذية... وغيرها، ليكون مناسبة لتبادل السلع وشراء مستلزمات مختلفة، كما أنه كان يسمح ببيع ما كان ممنوعا من سلاح والذخيرة باعتباره غير قابل للمراقبة، مما سمح لاغتنام فرصة جمع السلاح للمجاهدين الأوائل من خلال هذه المناسبة.

أما القيم الاجتماعية تعتمد على مبدأ الديمقراطية تخضع على جماعة من أشخاص تتمتع في وسط السكان على مبدأ الاحترام والتقدير، وتعتمد على تنظيم القضايا التي تطرأ بين الأعراش والأفراد مع مراعاة الأعراف والعادات الموروثة عن الأجداد، تنطلق منهم توجهات والأوامر والإشراف على كل مناسبات من بينها:

- تنظيم السوق السنوي (المقام) من كل فصل خريف، وهذا لحرص سكان منطقة على تخليد لأهم الرجال اصلاحا وعلماء، لأنه يمثل لقاء جماعي لكثير من القبائل المجاورة للمنطقة، وما يحمله من المعاني الإنسانية من مشاعر الرحمة والتلاحم والتعاطف، نظرا لمكانة أهل العلم والدين أمثال: ولي صالح سي أحمد بن يحي (ينظر التعليق رقم 07)، والشيخ محمد بن بلقاسم (ينظر التعليق رقم 08)، والشيخ المختار بن عبد الرحمان (ينظر التعليق رقم 09) ...

- تجنيد أبناء المنطقة لخدمة الضيوف مهما كان عددهم، كنصب الخيام واستقبال فيهم وللشيخ اقويدر للمومة باع في هذا المجال، بالإضافة إلى كل من: مسعودي الحاج، بوذراع رابح، والسعدي عمر وبن كيحول السعيد...

2-2- النظام الاجتماعي للمنطقة:

ومن حيث التقسيم الاجتماعي فإنه تقسيم عربي يبدأ بما يعرف في المنطقة بـ "الفرقة" وتدل على فرع عرقي صغير ضمن المجموعة الكبيرة أو ما يعرف بـ "العرش"، وقد تتساوى الفرقة أو العرش من حيث عدد ما عرف لدى العرب بـ "الرهط" أو الفصيلة، وهي أصغر وحدة اجتماعية بعد الأسرة، وهذه المسألة تبدوا واضحة في علاقة أهل المنطقة ببعضهم البعض (بوخالفة، 2010، صفحة 473)، بحكم أن نمط العام لدى هذه منطقة هو طابع البدوي يتحد في بعض الصفات والخصائص، ويختلف نسبيا في بعض العادات وتقاليده والعائلات، إلا أن الولاء التام والعلاقات التقليدية القديمة

الحميمية بين المنطقة والمناطق المجاورة مثل: منطقة الزاب ومنطقة الجلفة وجزء من مناطق القبائل الحضنة والأوراس، من حيث اتصافها ببعض الصفات الموحدة من حيث العادات والتقاليد، دعمت وحدة العقيدة ولم تفسدها الانتماءات التقليدية، بحيث يقول الشيخ محمد الغزالي: "رغم نقص العلم وفساد الحكم الاستعماري لم يؤثر في التقاليد الصلبة التي حفرت مجراها في الشعور واللاشعور التي شدت أعصاب هذه الأمة الإسلامية، وعادة ما تكون هذه التقاليد التي ينوّه بها العتيقة أشبه بالعادات الإنسان، المرتبطة بالعبادات الشخصية الاجتماعية العامة" (الغزالي، 2005، صفحة 92)، فكثير من العادات والتقاليد التي تسلكها بعض مناطق المذكورة من طقوس ومراسيم زواج وحفلات متنوعة وتشجيع جناز وأعياد دينية ... تكون بمثابة نقاط لقاء وتقارب والمعاملات والأخلاق مع بعضهم البعض.

أما التعاون أو حملات التضامن أو ما يعرف باسم "التبزية"، بحيث المساهمة فيها طوعيا في كل النشاطات، فهي السمة الغالبة لدى السكان والمناطق المجاورة، ويظهر ذلك بقوة في مناسبات الزواج والحصاد والحراث والبذر وحفر الآبار... ومن أنواع التعاون والتضامن التقليدي:

- التبزية (تطوع في كل النشاطات بدون مقابل).- العامة (احتفالات وسهرات).
 - العباسية (استخراج منتوج خارج إطار الزكاة).- الغفارة (إعانة السائل والمحروم).
 - القلاعية (طعام خاص باكتمال محاصيل أثناء الجني).- البروك (الهديّة).
 - ومن أنواع الولائم التي عرفها أجداد سواء الفرح أو القرع :
 - الزردة (الطعم المقدم عند المزارات يتخذ على ذبائح من بهيمة الأنعام).- الحذاق (وليمة حفظ القرآن).- الأعذار (ختان الصبيان).- النقيعة (للعائد من الحج).
 - العقيقة (ذبيحة المولود).- وليمة العرس (الزفاف).- الوضيعة (عشاء أهل الميت).
- وإذا ما تأملنا تلك الحقائق وبحثنا أسبابها وجدنا بعضها يتصل بالموقع الجغرافي المفتوحة تضاريسه الكثيرة والالتواءات، وصعوبة المنحدرات وعمق الفجاج والبيئة الطبيعية بصورة عامة، وما تفرضه على الإنسان من حيطة وحذر من جهة، كانت مصدر الرزق الإنسان والحيوان معا، سواء في التجارة التي يمارسونها عن طريق

المقايضة أو نقدا أو في المحاصيل الزراعية أو منتجات الحيوان كالصوف والوبر والسمن وغيرها، فهم يخضعون إلى نفس النظام الاجتماعي الذي تخضع له سائر القبائل الجزائرية، وخاصة القبائل البدوية أو الشبيهة بنظامها (بوخالفة، 2010، صفحة 14).

3- البعد السوسيو. ثقافي للبيئة عين الملح:

إذا عدنا إلى رصد مظاهر الموروث الثقافي عبر مختلف أرجاء القطر الجزائري، ندرك أن هناك عناصر استمرت بصورة جديّة تجلّى في الفنون اليدوية تحظى باهتمام بالغ من قبل أفراد المجتمع، من التقنيات والمهارات ووصفات انتقلت عبر الأجيال كالصناعات التقليدية والنحاسية والفخارية والجلدية وبناء البيوت وإعداد الطعام وفلاحة الأرض والصيد وغيرها (مصطفى، 2008، صفحة 229)، فمنطقة عين الملح تتمسك بعاداتها وتقاليدها، فهي تتميز بالكرم والشهامة والحرية والميل إلى حياة البادية القائمة على الرحلة الموسمية كما سبق وأن أشرنا، فجميع خصائص العضوية والانفعالية المشتركة بين الإنسان والحيوان، والذي ميزها عن بعضها البعض هي الثقافة كإنتاج حضاري يقدمه الإنسان، ويتجلى البعد السوسيو. ثقافي للمنطقة فيما يلي:

أ. السكن ومستلزمات الإيواء:

بدايات الأولى للإعمار كانت بالقرب من منبع الماء السالف الذكر، حيث كانت مساكن تقليدية متناثرة تتخللها بساتين وساحات للالتقاء مع وجود أحواض الملح بالقرب منها، والمبنية من الحجارة والطين وجذوع الأشجار لتسقيف المنازل، غير أن تلك المساكن لها خاصية مميزة تتمثل في وجود مدفأة تقليدية، وعدم وجود الفتحات (النوافذ) من الخارج، أما البدو الرحل استعملوا الخيمة كمسكن وتفنن الأهالي في صناعتها واستعمالها، لأنها تساعد على الترحال والتنقل والانتقال بأقل التكاليف، ولم تكن لديهم أي حدود جغرافية، فالجزائر كلها وطئهم فوجدوا في هذا الترحال متعة خاصة، بحيث يقول الشاعر (ينظر التعليق رقم 10):

نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت مثل السماء زهت بالأنجم الزهر
يمكن التمييز بين أصول منطقة من خلال لون الخيمة، وتستعمل عادة لوني
الأحمر والأسود:



■ **اللون الأحمر:** وفق ما هو متداول شفهيًا يتميز عن غيره بشعار خيمة النوائل قاطني المنطقة، وقد أخذ هذا اللون إشارة من أجل الضيوف الذين يقصدونهم مباشرة، والخيمة النيلية تختلف من حيث اللون والاتجاه (القِبْلَة)، بحيث وجهة النساء تكون على اليسار، وجهة الرجال على اليمين.

■ **أما اللون الأسود:** عادة هي مسكن عائلي مصنوع من شعر الماعز وصوف الغنم، ويكون عمومًا خيمة متوسطة. ويفصل مكان الرجال عن مكان النساء في وسط الخيمة ستار يسمى "لحمل" وتكون وجهة النساء على اليمين وجهة الرجال على اليسار، وتثبت بأعمدة والعمود الرئيسي الذي يوضع وسطها يسمى ركيزة والخيم المتجاورة تسمى "السماط" (بوحالفة، 2010، صفحة 83).

ب. لباس الرجال والنساء:

إنسان المنطقة مارس الصناعة التقليدية منذ سنين ومازال يمارس بعضها حتى الآن، ولا يمكن الاستغناء عنها، وهذا بحكم ارتباطه بالفطرة والبيئة وظروف الحياة وشكلها، حسب احتياجاته الضرورية وفق قدرته الجسمية والفكرية، فالرجال والنساء يشتركون في نوع الألبسة الأصلية المستعملة التي تشتهر بها المنطقة وتشترك فيها مع غيرها من المناطق الأخرى، (أيت قاسي، 2010، صفحة 75)؛ بحيث لباس الرجال المنطقة (خاصة الكبار) البرنوس، القشابية، الخيتوسة، وكذلك السروال العربي والبدعية والجبّة والشاش أو الحفة، فمعظم ملابس الرجال الأصلية تتخذ من صوف الغنم ووبر الإبل، وتنتجها المرأة في منطقة بأدوات كانت مستعملة منذ القدم مثل: المنسج أو المنوال، واستمرت إلى يومنا هذا، فبقيت تلك الملابس سمة مميزة لمنطقة وضواحيها. أما لباس النساء (يتشابه بين الكبير والصغير) فأشهره الجبة النيلية مع الحولي فتدنيه على ظهرها وتتركه مرسلا وراءها، وتجعل شعرها ضفيرتين حول أذنها فتشد رأسها بالمحرمة والعمامة أو الشدة، أما زينتها فتتخذ من وسائل جد بسيطة تتمثل في: الفضّة والبرونز، (الذهب قليل وفرة)، إضافة إلى خواتم وأقراط وعقد والخلخال والمشرّف وحزام من فضة التي تشدّ بها على خصرها، أو تستعمل حزام من الخيوط يسمى "الحميلة" أو

"البثور" بالإضافة إلى شَرَكَة أو صرع العنبر، وعادة عند خروجها من البيت تلبس ملحفة بيضاء.

ج. آثار العمل الصناعي والحرفي:

ونظرا للإمكانيات الهائلة التي تزخر بها المنطقة من حيث الثروة الحيوانية من غنم وماعز وإبل، والتي تعتبر من السمات البارزة، فأول ما يلفت الانتباه هو إعداد الخيمة والتي هي المأوى الأساسي للإنسان، حيث تنسج المرأة القطع مشكلة للخيمة المعروفة بـ "لفليج" أو "الفليج"، عبارة عن قطع نسيجية من صوف ووبر وشعر ماعز، تنسجه البدويات، لأنه أساس الخيمة، وهو قطع مستطيلة غير متناسبة، بحيث يصل طول فليج تقريبا إلى عشرين مترا ولا يتجاوز عرضه نصف متر، فتجمع حواشيه بأعداد معتبرة تكفي لتشكيل خيمة، ويخاط الفليج مع الفليج ليشكل قطعة كبيرة هي جسد الخيمة، أو البيت أو العشة" (بوخالفة، 2010، صفحة 595)، كما ازدهرت بها صناعات كثيرة، مردها إلى أفكار تابعة من عقول أجدادنا وأسلافنا، والدافع إلى هذا هو تحسين الوضع المعيشي، بحيث ساهت في صناعة البرانس الصوفية والوبرية والقشابية والخيتوسة بالإضافة إلى صناعة الزرابي التي تحظى بتقدير، وقد سوق أثاث من الزرابيب والحنابل والأغطية والوسائد والأفرشة المختلفة ما فاض عن حاجة السكان إلى مناطق مختلفة في القطر الجزائري (حشلاف، 1984، صفحة 11)، لجودة وإتقان نساء المنطقة صناعتهم وحرصهن الكبير على إتقان عملهن، إضافة إلى الغرارة والتليس وهي أوعية لحمل المتاع والحبوب أثناء الهجرة الطويلة أو القصيرة...

وفضلا عن صناعة الجلود وذلك بعد تنقيته وتطهيره ما يسمى بـ "الدبّاعة" (ينظر التعليق رقم 11): يصنع منه: (المزود لكونها تزود صاحبها بالمئونة، والشكوة لاستخراج اللبن والزبدة، والقِرْبَة للماء، وجلد المطحنة، ومحفظة الجيب خاصة بالنقود والوثائق، وتغليف المصاحف وصنع الأحزمة والأحذية... الخ)، دون أن ننسى صناعة "الصباغة" (ينظر التعليق رقم 12): التي تشتهر بها المنطقة وتشمل الصوف والجلود حسب الذوق الفني، إضافة إلى استعمال مادة "الحلفاء" التي تعبر عن ثقافة الأمة، كما أنها النافذة التي يمكن الإطلال منها لمعرفة أصول (بورايو، د ت، صفحة 38)، وبعض



الأدوات المصنوعة من هذه المادة: الحصير والذي هو من اختصاص النساء وأكثر انتشارا في المنطقة، كذلك القفة بجميع أنواعها والسجاد للجلوس وللصلاة، والزنبيل لنقل البضائع، والرونية على شكل قفة كبيرة جدا تستعمل لتخزين الحبوب، والشبكة، المظلة، البردعة، القنينة للشرب ماء، القدح لشراب اللبن، الأطباق للخبز والدقيق، الحبال....

وإلى جانب ما تقدم من الصناعة الحديدية والفخارية نجد: من الحديد (القدر والطاوة وصفائح والمغارف والخناجر للأكل، الفخاخ والبنادق للصيد، المسلة للخياطة، قرداش ومشط والخلالة لنسيج، المنجل والمحراث والمحش والمذرى والرفش والرسن للفلاحة، بالإضافة إلى أدوات أخرى، كالمعول، قالب البناء، السيوف، المسامير، حدائد حيوان...) (بورايو، د ت، صفحة 39)، ومن الفخار خاصة الأواني المنزلية: كالطاجين، والقدح، والبرمة، والكسكاس، والمثرد الفخاري...

كما لا ننسى صناعة الخشبية وصناعة الأسلحة و"البارود" (ينظر التعليق رقم 13)، التي توفرها المنطقة، ومن الخشب (أبواب وأسقف والسلالم خاصة بالبيت، المهراس والقصة والمغارف للأكل، بالإضافة إلى صناديق، ألواح تعليم القرآن الكريم وأقلام كتابة، الحمارة، الركيزة للخيام، والعصا بجميع أحجامها، والمشط والهودج والخشبة والقوائم للنسيج...)، أما صناعة الأسلحة مثل البنادق (كرابيلة) كانت موجودة وأشهر صناعاتها عائلة المجاهد بن خليفة الحمدي، وصناعة البارود بحكم البيئة هذه المنطقة القاسية موحشة، يحتاج الإنسان إلى أقوى سلاح ليدافع عن نفسه من الحيوانات ومن بعض المعتدين، وانتقل استعمال هذه المادة من دور الدفاع والصيد إلى دور التباهي والافتخار بها الأفراح والمهرجانات.

د. فنون الأكل والشرب:

تتفنن النساء أهل المنطقة بأجود المأكولات التقليدية، تنقل لنا بذلك ثقافة عريقة تحمل في طياتها بعدا تراثيا أصيلا (حشلاف، 1984، صفحة 12)، ومن أشهر المأكولات هو الكسكس أو طعام ما يسمى بـ "البروشة" في كل مناسبات المنطقة، يوضع فوق الطعام الزبيب والسكر أو الدهان (زبدة البقر أو الغنم ذائبة) يقدم هذا الطبق مع



اللحم في الأعراس والمناسبات والأعياد وفي المآتم، أما الأطباق الأخرى فهي أيضا مهمة، ومنها: "الشخشوخة" و"الزّفيطي" و"البغريز" والمردود أو ما يسمى بـ"العيش"، وتشيشة الفريك (من القمح) التي تقدم دائما في شهر رمضان الكريم كطبق رئيسي على مائدة الإفطار، بالإضافة إلى أكالات أخرى منها تشيشة المرمز (تشبه تشيشة الفريك ولكنها من الشعير)، والفلاق (شعير مطحون)، دون أن ننسى الروينة (قمح مرحي) الأكلة المميزة في المناسبات كالزّردة والزّورة (زيارة أضرحة الأولياء الصالحين)، وأكلة الرفيس (خبز مختلط مع معجون التمر ما يعرف بـ"القرص") والتي تقدم عندما بداية بناء المنزل أو عند زج الغنم، أما السيد المأكولات في المنطقة يقدم للضيف في مناسبات معينة هو "المصوّر": خروف مشوي محشي بتوابل محمر على نار طبيعية من الحطب، أما المشروبات التقليدية منها: اللبن والشاي وزيت الزيتون مثلما هو معروف عند العام والخاص والجور (عروق أشجار العرعار)، إضافة إلى "الرّب" (بضم الراء) مربى التمر.

5. الأحاجي والأمثال السائرة لأعمال العقل :

■ **الأحجية:** المحاجبة عند أهل منطقة هي طرح كلام مهم غامض ليفسره السامع النبیه أو يقر بعجزه عند الجهل فيحل له الحاجي الأحجية من ذلك قولهم: مزود صوف يبات يشوف ثم يقول الحاجي ماهي؟ أو قل داب، وهذه أحجية تعني الكلب، وقولهم: أربعة دربك دربك، واثنين ترنيله واحد ينش في الذبان، وواحد يغنيلنا، وهذه الأحجية تعني الحمار، أو قولهم: حاجيتك لو ما هم ما جيتك، وهذه الأحجية تعني الرجلين.... وتلقى هذه الأحاجي عادة في الليالي الطوال للماء الفراغ.

■ **الأمثال السائرة:** ويترد على ألسنة العجائز ويتسلى به الفتيان والفتيات في مجالس الأئس في أقوال ذات معنى جميل والهدف منها نبيل (مرتاض ، 2015، صفحة 34)، كقول: خوك خوك ولا يغرك صاحبك، وقول: الراعي والخماس داوسو على الشبي الناس، وقول: زيان بلا أحمد كبيت بلا أعمد

9. الأغاني والرقص الشعبي والألعاب للتسلية:

يردد الناس الأغاني الشعبية التي تشتهر بها المنطقة منها ماهو من نظم أهل المنطقة ومها ما هو مجهول لا يعرف مصدره، وهذا بمصاحبة آلي الدف "بندير" والناي القصبة

أو ما يعرف بـ "الغايطة"، فمثلا: مناسبة الزواج (عندما تزف العروس) يردد من أغاني هذه المناسبة (دحو، 1989، صفحة 45).

الدَّقَاعَة جَبَّاتِ الْعُرُوسَةِ ابْكَاثُ *** لُمَيْمَة وَلَدَتْهَا لَعُجُوزَة وَالْقَاتُ *** مَا تَبْكِي شِي
يَا لَعُورُوسَة فِي حُرْمَة بَابَاكَ *** مَا تَبْكِي شِي يَا لَعُورُوسَة مَا تَسْرَدِشْ عَيْنِيكَ *** بِيكَ عَلَى لُمَيْمَة
رَاهِي تَجِيكَ وَتَطْلُ عَلَيْكَ

ويصاحب تلك مناسبة حضور "البراح" الذي يتكفل بتبليغ التهاني وقبض النقود من المتفرجين، ويستخدم في ذلك كلاما مسجوعا مثل (هذه التبريحة في خاطر فلان وفلان) و (في خاطر الخواطر)، وينشط البراح الأعراس والحفلات والمناسبات، ويقدم رسائل في صيغ تعبيرية جميلة تسمو أحيانا بلاغتها ودلالاتها على الشعر تثير دهشة الحضور، تستفز النساء فيزغردن تعبيرا عن رضاهن وإعجابهن بالتركيبة اللغوية أو القالب اللغوي الذي صاغ فيه البراح، كأن يقال :

الْغَايْطَة وَالرَّحْب ... وَالْبُنْدِير وَالْقَصَب ... وَالْفَصِيح اللَّي جَابْ كَلَامُوزِينَ مُثَرَّب ... هذي ألف دينار في خاطر ...؟

ومن الأغاني التي تردد في مناسبة الختان ويطلق عليها أهل المنطقة اسم "الطهارة"، يتم فيها ختان الأطفال وتتم في مختلف سائر الأيام وعادة في السابع والعشرين من شهر رمضان، وتردد النساء جماعيا بهذه الطريقة:

طَهَّرْ يَا الطَّهَّارَ ... وَطَهَّرْ أَوْلِيَّي *** عِنْدِكَ لَتَجَرَّخُو ... وَالْدَمْعَة تَجْرِي

أما المديح عادة يجتمع مشايخ كبار العرش ما يعرف بـ "لُخْوَان" في بعض الأوقات من الليل جماعيا في ذكر لله وتوحيد له والتسبيح وصلاة على سيدنا المختار (عليه أفضل الصلاة والسلام)، وأشهر ما يرددونه: صلاتك ربي والسلام على النبي، صلاة بها يشفى قلبي من الضر...

■ طابع الرقص الشعبي: هناك العديد من الرقصات في المنطقة منها رقصة النايلية والفَزَاعِي، تشبه رقص الخيل والسعداوي، لكن الرقصة النايلية هي المشهورة، يشترك فيها النساء والرجال والصغار والكبار، ولكن دون اختلاط بين الجنسين ك الزندالي أو السعداوي .



- أنواع الألعاب للتسلية: عرفت المنطقة كثير من الألعاب وهي ألعاب من صميم التراث الشعبي وتوجد بنفس المقادير التي توجد في غيرها من المناطق المجاورة، مبدؤها المنافسة وإعمال الفكر والتدبر والعقل، ك الخربقة والسيق والجِدُّ (بكسر الحاء) ولعبة الكورة (التلومة) والسباق... وغيرها (محجوب و شريف، 2007، صفحة 50).
- خاتمة:

إن الحاضر منطقة عين الملح هو امتدادا للماضي، ويعدّ السمة المميزة للمنطقة التي تعزّز وتفتخر بتراتها، وتعتبره الجذر الذي يمتد في الماضي السحيق ليؤرخ ماضيها وأمجادها العظيمة، نتيجة عوامل التغيير التي تأتي نتيجة لتطبيق الحياة الحديثة، ونتيجة للمخالطات الثقافية والبشرية بوصفها عوامل بالغة التأثير والنفوذ على مادة التراث الشعبي وأشكاله، إلا أننا نرى أن هذه المأثورات الشعبية تملك من عناصر المرونة والخصوبة والقدرة على الملاءمة، بالفعل فإن منطقة عين الملح بيئة متفاعلة اجتماعيا مع محيطها الطبيعي ومحيطها البشري، الذي تتشابك فيه العلاقات الإنسانية المختلفة بدءًا من القرابة النسبية وانتهاء بالعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتجارية، دون أن ننسى أهم تظاهرة شعبية التي تنظم سنويا من طرف أبناء المنطقة المسماة (المقام)، هذا اللقاء الذي يحمل في طياته عدة معاني الإنسانية ومميزاتها، والذي يعبر بصدق عن أنبل وأعظم ما يحمله سكان منطقة، مما اشتركت مع غيرها في ميراث ثقافي واحد، فقد تأثرت مع غيرها بنفس المؤثرات، بل بنفس درجة التأثير الثقافي الذي هيمن على جماعات أخرى على غرار قبائل أولاد نايل وأولاد دراج وأهل الزاب... وغيرهم.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها، هو أن وجودنا الثقافي في حياتنا الاجتماعية التي تبرز الحاجة الماسة والمستمرة لتقييم أهمية وحالة الموروث الثقافي، جمالية، وتاريخية، وعلمية، واقتصادية، أو القيم الروحية للماضي، والحاضر والمستقبل، يشكل الحصن الذي يحفظ خصوصيتنا وهويتنا لاسيما عند جيل الحالي، وعليه؛ نقترح ما يلي:

- استفادة من خبرات ومهارات خاصة لأجدادنا وأسلافنا في مجال الإبداع الأدبي والفني،
- ضرورة تحويل ثقافتنا من الاستهلاكية إلى المنتجة.

- الاهتمام بالموروث وجعل المجتمع أو المجموعة البشرية في حالة ازدهار وتطور في مختلف المجالات، قصد اطلاع على آليات الاستثمار في الموروث الثقافي.

■ الاستشهاد بالقيم السامية في تعزيز الحوار بين الثقافات واحترام الإنسان لهويته ولانتمائه، وذلك لخلق أدوات لتحريك وجودنا الثقافي والمحافظة على خصوصياتنا.

- التعليقات:

- التعليق 01: الماجن : إحدى أقدم أحياء عين الملح حاليا، ويكيبيديا،

<https://ar.m.wikipedia.org>

- التعليق 02: طيب يحيوي، عن مخطوط من ديوانه أخذت هذه المقطوعة.

- التعليق 03: تناح بوضياف، ديوان مخطوط للشاعر، المقطوعة من قصيدة حفلة حمزة.

- التعليق 04: طريقة الرحمانية : طريقة صوفية تجمع بين العلم والتربية، تأسست في 1774م من قبل سيدي امحمد بوقبرين بن سيدي عبد الرحمن الجرجري، في قرية أيت إسماعيل قرب بوغني في منطقة القبائل. موقع المعرفة، www.m.marefa.org

- التعليق 05: يقصد بالرحلتين : رحلة مع بداية الشتاء إلى الصحراء بحثا عن الدفء وكذلك جني التمور، والرحلة مع بداية الصيف إلى التل مناطق الشرقية والشمالية والغربية بحثا عن المراعي المناسبة صيفا واستئناف نشاطهم المعتاد القائم على الرعي والفلاحة.

- التعليق 06: الرُبَّة : الغرض منها تخزين الأهالي مدخراتهم المختلفة مثل : (قمح، شعير، مشمش مجفف، ففل مجفف، طماطم مجفف...) ولها حارس مستقر يتولى حراستها، وهي رمز لوحدة الجماعة وملتقى أفراد القبيلة بما تحويه من كنوزهم وأقواتهم ونقطة التقاء ببعضهم البعض.

- التعليق 07: هو أحمد بن يحي بن يحي بن محمد بن عبد الله الخرشفي المدعو سيدي نائل، أمه رقية البوزيدية نسبة للبوازيد الأشراف، جده العالم الشريف الصالح الظريف سيدي عبد الله البوزيدي الذي ينتهي نسبه إلى قبيلة الأدارسة الأشراف.

- التعليق 08: هو محمد بن أبي القاسم الهاملي مؤسس زاوية القاسمية بهاملي.

- التعليق 09: هو المختار بن عبد الرحمان بن محمد بن يوسف صاحب القبة المعروفة بسيدي خالد بن عبد الرحمان "المدفون قرب ضريح خالد بن سينان العبسي"، مؤسس زاوية المختارية بأولاد جلال.

- التعليق 10: عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ديوان مخطوط للشاعر، المقطوعة من قصيدة يا عذرا لأمرئ قد هام في الحضر.

- التعليق 11: الدباغة: هي مادة تصنع من النباتات وعرق وقشور الأشجار مثل (قشور الرمان، والعرعار، ورق الأشجار، قشور وعروق البلوط، ومحاشي الصنوبر) ثم تضاف إليهم مادة قطران، وهذه صناعة خاصة بالجلود لاحتياج الإنسان للجلد.

- التعليق 12: الصباغة: هي مادة تستخرج من بعض النباتات أو الأشجار أو عروقها كالحبر الأحمر مثلا يستخرج من شقائق النعمان، والصمغ يستخرج من شجرة البطم.

- التعليق 13: البارود: يتم صنعه من أغصان أشجار الدفلى المجردة من اللحاء إضافة إلى مادة الملح الموجود في الكهوف.

قائمة المصادر والمراجع:

- حميدة عميراوي، (2004)، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، عين مليلة، الجزائر: دار الهدى للطباعة والنشر
- ذهبية أيت قاسي، (2010)، الثقافة الشعبية في البرامج الناطقة بالأمازيغية، رسالة ماجستير، قسم الادب العربي، كلية الأدب العربي والفنون، جامعة وهران، الجزائر.
- عبد الحميد بورايو، (د ت)، في الثقافة الشعبية الجزائرية: التاريخ والقضايا والتجليات، الجزائر: دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الرحمن ابن خلدون، (2000)، العرب وديوان المبتدأ والخبر، مج 07، عمان، الأردن: بيت الأفكار الدولية.
- عبد القادر لباشي، (د ت)، فتنة ذاكرة - دراسة نقدية لتشكيل التراث الشعبي في الشعر الجزائري المعاصر، د ب: نور للنشر والتوزيع.
- عثمان حشلاف، (1984)، التراث والتجديد في الشعر السياب، رسالة ماجستير، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة تيزي وزو، الجزائر.
- عمر جادي وبوشاللق عبد العزيز، (2021)، الأبعاد الأنثروبولوجية في منطقة بوسعادة: التاريخ، المجتمع، الثقافة، مجلة أنثروبولوجية الأديان، جامعة تلمسان، مجلد 17، العدد 01، ص 230-246.
- عمر علاوة، (2009/03/28)، 50 عاما على معركة جبل ثامر، موقع جزايرس : <https://web.archive.org/web/20180518054933/>.
- فاروق أحمد مصطفى، (2008)، الأنثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي، دراسة ميدانية. الإسكندرية، مصر: دار المعرفة الجامعية، الهيئة المصرية للكتاب.
- محمد الغزالي، (2005)، كيف نفهم الإسلام. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد عبد محجوب، فاتن محمد شريف، (2007)، التراث الشعبي ودراسات ميدانية في مجتمعات ريفية وبدوية، مج 1، الاسكندرية: دار الوفاء للنشر.